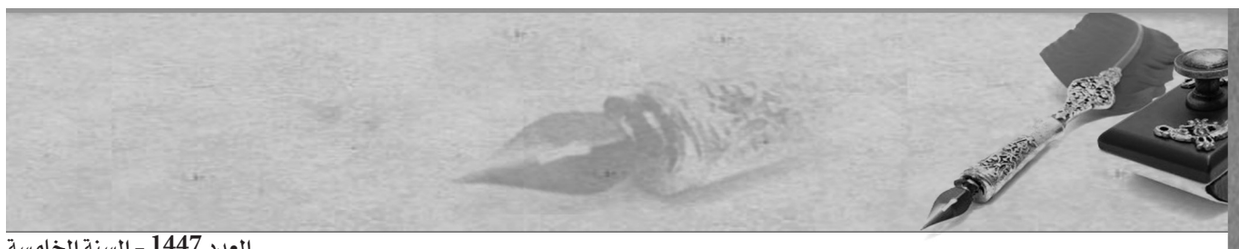

العدد 1447 - السنة الخامسة
الجمعة 15 صفر 1434 - الموافق 28 ديسمبر 2012
Friday 28 December 2012 - No.1447 - 5th Year

بصمة

ياهاجسي كم غرسّتك واثمر القاف
وماحدٍ فهمني وفي شعري قراني
ويوم اكتب الشعر لي غايات واهداف
ماهي تجارب وياعلّ وعساني
ولاهو على شان ينشر ثم ينشاف
أكتب معاناة نفسي يوم أعاني
يوم ألتفت والليالي سود وعجاف
واقرا تفاصيل عمري بالثواني
أقول راحت عليّه والعمر طاف
والوقت في صفحة كتابه طواني
الى متى والمسافه ظلم واجحاف
مدري من الناس وإلاّ من زماني

وكيف اطلب اللي جهلني بعض الإنصاف
وهو ماعرف كيف يقراني معاني
الشعر احبه واعشقه حيل واخاف
عليه لايهتدي درب الهواني
أبي حضوره يجي بإحساس شفاف
وابيه الاول ولا ارضى شي ثاني
مادامي اتنفّسه مافيني خلاف
ماهمني كل من راح ونساني
الناس من بينها عادات واعراف
وبيني وبينه اليا احتجته لقاني
أغيب لاشفت ماقدمت ماضاف
ولاحضورٍ ينزّل من مكاني

وأجي اليا شفت ليّه فيه ميقاف
واليا تغنيت به جبت السماني
أتعب ليا من لفاني حد الإسراف
وليا كتبني قصيدي ماعصاني
وان ماتباهيت به في كل مشراف
ماهوب شعري ولابصمة بناني
وان ماتحوّل كلام اعداي لهتاف
أحسن لي أسكت ولا اتعّب لساني

نهار بن ممدوح

الشعر

أجمل الكلام كما يسميه الادباء أو الكلام الجميل كما يسميه العوام أو الشعر كما يسمي نفسه له قصه باكيه كالخنساء على صخر غريبة كقبر أمرؤ القيس مريبة كأنف قصير مثيرة كمسلسل بدوي بطله أحمق يمثل دور شيخ محنك بدأ حينما ولد لدى الكهان كهيئة سجع اول مابدأ للضحك على عقول الناس حينذاك لايهمهم أنه ليس ككلامهم بل إنه الكلام الذي لا يجوز بغيره أن يخاطب الآلهه ، ولايجيده إلا الكهنة فلابد أن يتم مخاطبة الآلهة عن طريقهم كوسيط مدفوع الأجر مسبقاً ومن الغريب أن الآلهة في ذلك الوقت كانت " إمرأة " مثل الربة السومرية عشتار و أنانا وإزيس

مثل هذا المقطع :
" سيدتي هجرت السماء وهجرة الارض
ونزلت العالم السفلي
إنانا هجرت السماء والارض
ونزلت العالم السفلي
هجرت السيادة،هجرت الملوكيه
ونزلت العالم السفلي
هجرت معبدها في الوركاء
ونزلت العالم السفلي
وإلى ربة الأشياء كلها
سيدة السماء والأرض،عشتار "

وغير هذا كثير فترعرع المسكين آحادي التوجه خبيث المقصد ضائع الأطراف فلا هو ذات معنى فيفهم ولا الآلهة ذات فهم فتعنى وكبر على هذه الحال حتى جاء دور السحرة فأرضعوه مما تيسر من الطلاسم والتعويذات والعزائم ، وقيل أن السومريين أول من بدأ بهذا لشدة التنافس بينهم ، ومن منطلق التطور ولأن الكهنة حريصون على ماهوجديد بهذا المجال أدخلوا السحر في المجال التعبدي، فهو إلى يومنا هذا مصاحب لهذه المهنة المحببة للشيطان نفسه ، ولأنها عادة سرمدية وصفة مستمرة فيهم قام اليهود بإدخال السحر كشعر باللغة العبرية تحت إشراف الشياطين لإيهام الناس أن سليمان عليه السلام كان ينتهج هذا المنهج :
" وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ " (البقره – 102)

فتفشى في باقي اللغات السامية الخاضعة لهيبة اللغة العربية ويقال أن أعرابيا كان قد سقط من فوق جمله على الأرض فكسرت يده فأخذ يصيح بصوت رخيم (وايداه) بتكرار موزون فلاحظ بفطنته البدوية أن الجمل يزداد نشاطه مع إيقاع الكلمه ذات الصوت الرخيم والنظم الموزون من هاهنا بدأ الشعر يأخذ تمحوره الأخير وشكله النهائي ودخل في أول بحوره وهو الهزج "هكذا قيل" و بسبب أعتماد العرب على الإبل في السفر والمأكل والشرب وأحيانا في الزواج كأغلى المهور بدأت الوضيفه الشهيره(حادي العيس) بالظهور والأنتشار، وفي سيرة ابن هشام قال : حدثني بعض أهل العلم بالشعر أن هذه الأبيات أول شعر قيل في العرب ، وأنها وجدت مكتوبة في حجر في اليمن ولم يسم لي قائلها ، وهي هذه :

يا أيها الناس سيروا إن قصدكمو
أن تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا
حثوا المطي وأرخوا من أزمتها
قبل الممات وقضوا ما تقضونا
كنا أناسا كما كنتم فغيرنا
دهر فأنتم كما كنا تكونونا

فوصل الشعر الى مرحلة النضوج فكان رساله مشفره من شخص لشخص آخر أوعتاب أونصيحه أوهجاء أو توجد أو وصيه ونادراً مايتعدى الأربع أبيات فجاء المهلهل بن ربيعه المشهور بالزير ليظهره على هيئته المعروفه وسمي المهلهل لهلهلته الشعر، فالفضل يرجع (لنسونجي) ..!

منذ تلك اللحظه أصبح الشعر تاريخ لحفظ أخبار القوم ومغازيهم وللتفاخر وللمدح أوللإصلاح الأخلاقي والإجتماعي ، فقد روي عن الفاروق رضي الله عنه أنه قال (علموا أولادكم لامية العرب فإنها تعلم مكارم الأخلاق) ، وهي قصيدة جاهلية لشاعر جاهلي تعد من أجود القصائد العربية ، وحين بعث النبي صلى الله عليه وسلم أخذ الشعر مالم ولن يأخذه بعد ولا قبل من الشرف فقد تلفظ النبي صلى الله عليه وسلم به وأعجب بأبيات متفرقه لعدة شعراء ، وأيضاً تشرف بالدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم والأسلام على لسان الصحابي الجليل حسان بن ثابت(شاعر الرسول) رضي الله عنه فأتخذ الشعر – ولأول مره – لباس التقوى والصلاح ثم سجل الشعر على الورق وقد كان يحفظ في الصدور وذلك في العهد الأموي ، فجاء العصر الذهبي للشعر وهو العباسي فكان الشعر أسهل وسيله للثراء فما على الشاعر الى أن يقول بالممدوح ماليس فيه "غالباً" من الفضائل ليشعر الثاني بسد النقص الشعوري لديه وليفتح للأول جعبته المالية ، ولكن للحق والحق أقول أن أجود الشعر ماكان يقال في العهد العباسي على كثرة مساوئه، وفي هذا العصر أصبح الشعر علم قائم بذاته ولما ذهب عهد الخليفه وأتى عهد السلطان صار الشعر في حالة ترنح وتغير مضطرب في اللسان ، والطرق فظهرت أول قصيدة شعبية كالموجوده اليوم في العهد العثماني ، ومن الملاحظ أن هبوط الشعر العربي في ذلك الوقت لعدم فهم (العصملية) الشعر ولإحساس الشعراء(بالنكبة) لهذا، كذلك في العهد العثماني حدث تطور غريب ، ألا وهو ظهور شعر " البند " وهو مانعرفه اليوم بـ" التفعيله " !
نعم التفعيلة كانت قبل مئتي سنه عما هو متعارف عليه الآن مثل هذا القول :

رب الحسناء انجلت
في غسق الشعر
انجلاء البدر في الظلمة
والشعلة في العتمة
تهتز بدل الحسن
كالنبقة في النسمة

ثم مرت السنون على مامرت عليه الي أن جاء شعراء الحداثه كبدرشاكر السياب ونازك الملائكة ومزق النظام الشعري القديم ليأتي بآخر جديد فدخل الشعر مرحلته الجديدة وشكله العصري المسمى (بالحداثه) من أشكالها النثر والتفعيله .
وبدأ العداء بين شعراء (الشعر الحديث) وشعراء(الشعر الكلاسيكي) فبين أتهام الفريق الأول للثاني (بالتخلف والرجعية والجهل) وبين أتهام الفريق الثاني للأول(بالسخافة والركاكة) أصبح الشعر نفسه ضائق من نفسه .

عبدالله البصيص

عزف منفرد

غياب الأدب الساخر ومصارحة الذات

هناك من يعتبر أن الأدب الساخر ليس تنكيتاً ساذجاً على مظاهر الأشياء، ولكنه يشبه نوعا خاصاً من التحليل العميق الذي قد يغوص في عمق الحقيقة ويترجمها الى مقالات وقصائد ساخرة التي تجعلنا نعبر عما في قلوبنا من هموم ونصوغه بطريقة كوميدية تعبر عما في داخلنا من هموم ومشاكل اجتماعية وسياسية.
اذ أن كتاب الأدب الساخر يعبرون عن الآلام والأحزان بطريقتهم الخاصة، ويقدمون هموم مجتمعهم على شكل ابتسامات ومفارقات، فهم لا يستطيعون العيش بحزن طوال الوقت
فتراهم في قمة حزنهم يقدمون الفكاهة والسخرية مما يدور حولهم معتمدين في ذلك على أساليب فكاهية ولغة قريبة من التهريج...
فالأدب الساخر لا يمتدح الجمال بل يعري القبح ويضعه في مكانه الصحيح ويُظهر الحقيقة العارية وهو خليط من التمرد على الأمور الغير مرغوب فيها وانتقاد لما يحصل في الدنيا من مشاكل على مختلف الأصعدة سواء اجتماعيا أو سياسيا أو ثقافيا في قالب هزلي يجعل المتلقي يقرأ الطرح الأدبي الساخر بدهشة واعجاب...
إلا ما نلاحظه في الحاضر غياب هذا الأدب الجميل الذي يضفي علينا بعض البهجة الممزوجة بالواقعية، وغيابه يجعلنا نشكك في قدرة أدباء العصر الحالي على إتقان وحبك هذا الفن الأدبي الذي اشتهر به العديد من رواد الأدب سابقا ونذكر على سبيل المثال: شريف الراس من سوريا، إميل حبيبي ومحمود شقير من فلسطين ومن السعودية أحمد قنديل...
فحينما بدأ العقاد القول عن ملكة السخرية عند المعري سائلاً لم يسخر الانسان؟
أجاب قائلاً: إنه ينظر إلى مواطن الكذب من دعاوي الناس فيبتسم
وينظر إلى لجاجهم في الطمع وإعانتهم أنفسهم في غير طائل فيبتسم
وهذا هو العبث.. وذاك هو الغرور!
لذلك نجد أن الكتابة الساخرة مرتبطة بمناخ الحرية وتحتاج الى مصارحة الذات والثقة التي تجعل من الكاتب الساخر ذو سلطة على قلمه في التعبير عن تناقضات يراها أو يعيشها بشكل كوميدي معتمدا على تكسير جميع الحواجز اللغوية والأدبية لتكون الرسالة أقوى من طلقات الرصاص....
و شخصيا أعتبر الأدب الساخر من تراثنا الأدبي العميق حيث ترك لنا قصصا وحكايات لازلنا نتناولها كل مرة بصورة جديدة ومغايرة ونكتشف في أعماقها دلالات وعبر وحكم وهذا ما جعله امتدادا لثقافة عربية تحكمها المتعة في التلقي والقراءة..
لكن غيابه في حياتنا الثقافية جعلنا نطرح العديد من التساؤلات: أين ذهب أولئك الكتاب الذين تميزوا بهذا النوع من الكتابة وسط الأحداث التي يموج بها العالم العربي والعالم كله بشكل يومي وتثير السخرية والأسى والحزن معاً؟

هل فقد الكتاب قدرتهم على هذه الكتابة، أم منعوا منها، أم أصابهم اليأس هم أيضاً وفقدوا قدرتهم على السخرية؟ هل كانوا يكتبون لمجرد التسلية والفكاهة، أم لكشف المهمش وتعرية المستبدين والظالمين؟ ولماذا سكتوا الآن؟
فكما قال الكاتب الفلسطيني الكبير اميل حبيبي في روايته «الوقائع الغريبة في اختفاء أبي النحس المتشائل»، «السخرية سلاح يهز عروش الظالمين... لكن ما نلاحظه هو اختفاء هذا النمط الأدبي الرائع أو تقلصه في ظروف تجعلنا نحتاجه وبقوة.. قراءة وكتابة لنحلق بعيدا عن الحزن والاوجاع.
لذلك يحتاج الأدب الساخر إلى موهبة خاصة وليس كل من يكتب بخفة ظل يعتبر من الأدب الساخر، فهناك من يكتبون في الصحافة العربية ويتمتعون بخفة ظل، ويقدمون انواعا من القفشات والنكت، لكن هذا ليس من الأدب الساخر في شيء، فالأدب الساخر أدب عظيم لا يستطيع كتابته إلا كل موهوب، مثقف، واسع المدارك، كبير القلب، يحتوي آلام البشر وهمومهم واوجاعهم في الحياة، فتكون سخريته كالبلسم الذي يداوي جراحهم، لان الأديب الساخر الموهوب يعلو بهم فوق الحزن ويساعدهم على تجاوز مرحلة الكآبة أو الإحباط أو الحزن، ويصيب أعصابهم بنوع من الاسترخاء اللطيف، فيفكرون بسلام، ويعيدون النظر في ما يتخذونه من قرارات وتكون صحتهم النفسية أقدر على التفكير، وهذا جزء من وظيفة الأدب الساخر، الذي يعتبر نوعا من النقد الاجتماعي تماماً مثل فن الكاريكاتير الذي يشارك صانعوه كتاب الأدب الساخر في الموهبة وان اختلفوا معهم في الأداة، فأداتهم الريشة، وأداة الأدب الساخر الكلمة فكل كاتب أو شاعر لهذا النمط عليه أن يحتوي قلباً كبيراً حانياً، لدرجة ان السخرية وان أصابت شخصاً بذاته فإنها لا تجرحه، ويكون أول من يضحك على نفسه...
و هذه قصيدة للبارودي في فاسد الأخلاق حيث يسلب منه جميع الصفات الحميدة، ويصوّر جميع معايبه ورذائله صوراً مكبّرة ثمّ يجعله سخرية ومَهزلة للقاريء:

وصاحبٍ لا كان من صاحب
أخلاقه كالمعدة الفاسد
أقبح ما في النّاس من خصلة
أحسن ما في نفسه الجامده
لو أنه صُوِّر من طبعه
كان -لعمري - عقرباً راصده
يصلح للصفع لكيلا يُري
في عدد الناس بلافائده
يغلب الضعف ولكنه
يهدم في قعدته المائده
يراغب الصحن على غفلة
من أهله كالهرّة الصائدة
كأنما أظفوره منجل
وبين فكيه رحيً راعدة
كأنما البطة في حلقة
نعامة في سبسب شارده
تسمع للبلع نقيقاً كما
نقّت ضفادي ليلة راكده
كأنما أنفاسه خرجف
وبين جنبيه لظى واقده

سناء الحافي